

الرؤية الأوروبية للخروج من الجمود السياسي



أريك رولو

كاتب متخصص في العلاقات الدولية،
وسفير فرنسي سابق

بدأ الكاتب أريك رولو، مداخلة بالإشارة إلى حادثة جرت معه في عقد الثمانينيات، قائلاً: حينها كنت بصدد تقديم محاضرة في معهد «بروكنغز» الأميركي الشهير، وكان جانب من المستمعين خبراء في شؤون الشرق الأوسط، ولكن قبل بدء المحاضرة وقول أي شيء، كثيرون أخذوا يضحكون، ففهمت مباشرة أن البعض يعتقد أن المسألة قيد البحث في المحاضرة طريفة، نظراً للاعتقاد الراسخ أن الاتحاد الأوروبي لا يمكنه لعب دور أساسي في قضية الشرق الأوسط.

ونوه إلى أن تلك الحادثة، شكلت درساً جيداً له في ذلك الوقت، مستذكراً بالمقابل ما قاله صديق قديم له كان يعمل في إحدى الإدارات الأميركية قبل سنوات، واستغربه في البدء، قبل أن يلمس صدقيته في وقت لاحق، ويتلخص بأن بلده فرنسا أكثر دولة معادية للسياسات الأميركية في أوروبا.

وتابع: هذا لا يبدو إجمالاً غريباً، فالرئيس الفرنسي الراحل شارل ديغول، رفض قبل عدة عقود المنظور الأميركي القائم على تقسيم العالم إلى معسكرين، الصالحين والأشرار، ودعم الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، في نزوة الفترة التي كان الغرب ينظر فيها إلى الزعيم المصري على أنه شخص غير محبذ للتعاطي معه بأي شكل كان.

وأوضح أن موقف ديغول، انعكس في إحدى نواحيه في طبيعة العلاقات الفرنسية - الإسرائيلية، والتي لم تشهد تحسناً منذ العام ١٩٦٧.

كما أشار إلى أن إحدى ميزات المواجهة الأميركية - الفرنسية، أن فرنسا لم تقبل إدخال الاتحاد الأوروبي إلى العملية السياسية شرقاً الأوسطية، لأنها اعتقدت على الدوام، أن أوروبا تستطيع أن تكون مفيدة ليس عبر فرض حل على إسرائيل، بل عبر المساهمة والمساعدة في إيجاد بيئة مواتية لإيجاد حل متوازن، لأن هذا من شأنه تحقيق الاستقرار في الشرق الأوسط، وتنشيط عجلة الاقتصاد، وبالتالي فإن السياسة الأوروبية اتخذت طابعاً بعيداً عما يروج له الإسرائيليون من أنها مؤيدة للعرب، باعتبار أنها تبنت سياسة تؤدي إلى الاستقرار، وتتوافق مع مصالح الجميع.

ونوه إلى نجاح الأميركيين باحتكار السيطرة على تداول قضية الشرق الأوسط، لأن الامتياز الذي حصلت عليه أميركا العام ١٩٦٧، خلق مناخاً على الأرض، انفردت بموجبه واشنطن بساحة العمل في المنطقة وحدها، وهذا الأمر استمر حتى مطلع عقد التسعينيات.

واستطرد رولو: في الواقع، فإن الأوروبيين هم من سمح للاميركيين بالإسكاف بمقاييد مفاتيح الشرق الأوسط، واكتفواهم بموقف الوسطاء، ولكن رغم ذلك، لم يتوقفوا عن الاعتقاد أن موقفهم لا يخلو من الوهن.

واستدرك قائلاً: وبالنتيجة، فإن الموقف الأوروبي حيال القضية الفلسطينية شهد تطوراً، توج بأن توصل الأوروبيون إلى أن هذه القضية ليست قضية لاجئين بل قضية سياسية من الدرجة الأولى، وعلى هذا الأساس لا بد من التعاطي معها من قبل أوروبا.

وأردف: لم يمض وقت طويل حتى توصل الأوروبيون، وأولهم فرنسا، إلى ما يعرف بـ «إعلان فينيسيا»، وتمثل بإقرار حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، إلى جانب الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية، كمثل شرعي للشعب الفلسطيني، وهذا الأمر اعتبر موقفاً ثورياً بكل المقاييس.

وتطرق إلى الفترة الممتدة بين عامي ١٩٨٢ - ١٩٩٢، موضحاً أنها شهدت أحداثاً، أدت إلى اختفاء الأوروبيين من المشهد السياسي على صعيد منطقة الشرق الأوسط.

وعزا ذلك في أحد جوانبه، إلى عدم اتخاذ العواصم العربية أية خطوة، وعدم تحريكها ساكناً حيال اجتياح الجيش الإسرائيلي للبنان وحصاره بيروت العام ٨٢، الأمر الذي عكس وجود أزمة عميقة لدى العالم العربي، وهذه المسألة

ثبقت عزيمته الأوروبيين، وبالتالي تحرك ميزان القوى مجدداً لصالح الأميركيين.

وذكر أنه مع نهاية الحرب الباردة وسقوط جدار برلين، بدأ الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك، والحكومة الفرنسية ياملان بأن تسمح الولايات المتحدة الأميركية للاتحاد الأوروبي بلعب دور في الشرق الأوسط.

وعن ذلك، قال: في هذا الإطار، حصلت الحكومة الفرنسية على وعود من نظيرتها الأميركية قبل حرب الخليج الثانية، بتحقيق هذه المسألة، في حال مشاركة أوروبا في الحرب الأولى ضد الرئيس العراقي صدام حسين، وبناء على ذلك،

تصرفت الحكومة الفرنسية رغم علاقاتها المميزة بصدام حسين، على أمل أن يسمح لها وللأوروبيين بلعب دور في عملية السلام، لكن ذلك لم يمنع استمرار احتكار الأميركيين للعملية السلمية في الشرق الأوسط، رغم غياب الاتحاد السوفياتي،

والذي استعملته (واشنطن) ذريعة على الدوام لمنع أي تدخل أوروبي في شؤون الشرق الأوسط.

ومضى قائلاً: والآن، فإن الكثيرين ينتقدون الاتحاد الأوروبي، لأن موقف الاتحاد الراض للاجراءات والسياسات الإسرائيلية لم يرتق إلى خطوات ملموسة على الأرض، وهذا الأمر لا بد أن نبحث في أسبابه بالتفصيل.

وفي هذا السياق، قال رولو إنه بما أن الاتحاد الأوروبي ليس كياناً سياسياً، بل سوق تجارية مشتركة، فإنه لا توجد له سياسة مشتركة حيال معظم القضايا، بما فيها الشرق الأوسط.

وتتغير بسرعة على الصعيد الدولي، وبالتالي فإنه رغم قوة أميركا وإسرائيل، فإنهما لا تستطيعان العيش بمعزل عن سائر العالم، ما يقترن بتغير الرأي العام الأوروبي، حيث لم نشهد مسيرات بالملايين تأييداً للفلسطينيين كما نشهد الآن.

وأردف: أحد هذه النماذج، تمثل في المسيرات التي سبقت شن الحرب على النظام العراقي، إذ نزل الملايين إلى الشوارع، لأنهم فهموا أن الحرب التي تريدها الإدارة الأميركية ليست في صالح العراقيين، ولا الشرق الأوسط.

ومضى قائلاً: في تلك المسيرات، تابعنا كيف ردد الملايين هتافات ضد أرئيل شارون، رئيس الحكومة الإسرائيلية،

كما أشار إلى أن الاتحاد مقسم بين أعضائه المؤيدين للولايات المتحدة الأميركية، ونظيرتها المعادية لها ولتوجهاتها، وهكذا فإن الاتحاد متفق على كيفية حل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، ولكنه بدلاً من اتخاذ إجراءات ضد السياسات الأميركية يكتفي الأوروبيون بموقف المتفرج، ويرفضون التحرك في ظل التقاعس العربي.

وتابع: لكنني أعتقد جازماً أن آلية التعاطي الأوروبية مع القضية برمتها من شأنها أن

تتغير بشكل جوهري، في حال تلمس الأوروبيين وجود كتلة عربية قوية، تتخذ قرارات معقولة لنصرة القضية الفلسطينية،

وعندها سيصبح بالإمكان أن نرى مواقف أوروبية حازمة ضد إسرائيل.

وتطرق رولو إلى ما قاله د. نصير عاروري، مشيراً إلى أنه يتفق معه بشكل عام مع كل ما ذهب إليه، مضيفاً «لكنني لست بنفس القدر من التشاؤم الذي

أظهره، فانا أنظر إلى نصف الكأس الممتلئ». وقال: اعتقد أن الأمور

تتغير بسرعة على الصعيد الدولي، وبالتالي فإنه رغم قوة أميركا وإسرائيل، فإنهما لا تستطيعان العيش بمعزل عن سائر العالم، ما يقترن بتغير الرأي العام الأوروبي، حيث لم نشهد مسيرات بالملايين تأييداً للفلسطينيين كما نشهد الآن.

وأردف: أحد هذه النماذج، تمثل في المسيرات التي سبقت شن الحرب على النظام العراقي، إذ نزل الملايين إلى الشوارع، لأنهم فهموا أن الحرب التي تريدها الإدارة الأميركية ليست في صالح العراقيين، ولا الشرق الأوسط.

ومضى قائلاً: في تلك المسيرات، تابعنا كيف ردد الملايين هتافات ضد أرئيل شارون، رئيس الحكومة الإسرائيلية،

وأخرى مؤيدة للشعب الفلسطيني، وهذا ما لم يكن أحد يتخيل حدوثه من قبل.

كما نوه إلى أنه اكتشف، عبر ملاحظاته وجهوده البحثية، أن المتظاهرين الأوروبيين شاركوا بمقدار يزيد على الضعفين في فعاليات احتجاجية مقارنة مع نظرائهم في العالم العربي والإسلامي، ما اعتبره دليلاً على قوة الموقف الأوروبي، خاصة الشعبي المناهض لأميركا، والذي يتلازم مع اختفاء الانحياز الكلي لإسرائيل في أي بلد أوروبي.

وعزا رولو المسألة السابقة، إلى قرار محكمة العدل الدولية في «لاهاي» بخصوص الجدار الفاصل، والذي دفع العديد من المؤسسات الأوروبية إلى مراجعة عقود أبرمتها مع إسرائيل.

وعاد الكاتب الفرنسي، بعد استعراض مسألة تنامي التأييد للقضية الفلسطينية في أوروبا، إلى الحديث عن فرص تغير الموقف الأميركي المنحاز إلى إسرائيل.

وقال في هذا الصدد: التصريحات الأميركية الأخيرة، والتي صدر جانب منها عن كوندوليزا رايس، وزيرة الخارجية الأميركية، حول أهمية تحسين صورة أميركا في العالم الإسلامي، تقدم بعض المؤشرات على إمكانية حدوث ذلك، وتفتح المجال أمام أسئلة تصعب الإجابة عنها.

واستدرك قائلاً: لكنني أعتقد أنه إذا أوقف الشعب الفلسطيني عسكرة الانتفاضة، فهذا يعني أن عليه اللجوء إلى آليات أخرى، وتحديدًا في المجال الدبلوماسي، وعندها على الفلسطينيين وضع أجندة وآليات عمل على المستوى العالمي.

واستطرد: كما أعتقد أن على الفلسطينيين دفع العرب إلى انتهاج سياسة أكثر إيجابية، وحينها يمكن الحديث عن بعض أشكال التنسيق بين جامعة الدول العربية والاتحاد الأوروبي، يتبلور عنها بعض الخطوات والأهداف المعقولة، مثل الدعوة إلى مؤتمر دولي لطرح قضية الشرق الأوسط.

ونوه، في ختام كلمته، إلى قرار محكمة «لاهاي»، فدعا إلى متابعته خلال المستقبل القريب، جنباً إلى جنب مع قرار الأمم المتحدة المبني عليه، «لأنه لا بد من إزالة هذا الجدار وهدمه، فهذا أمر ينبغي على الدبلوماسية الفلسطينية أن تتحرك لإنجازه بأسرع وقت ممكن».

وخلص رولو إلى تأكيد وجود عدة أمور يمكن للفلسطينيين فعلها، لكن الحيز المتاح في المؤتمر لا يسمح باستعراضها كلها.

على الفلسطينيين دفع العرب إلى انتهاج سياسة أكثر إيجابية، وحينها يمكن الحديث عن بعض أشكال التنسيق بين جامعة الدول العربية والاتحاد الأوروبي، يتبلور عنها بعض الخطوات والأهداف المعقولة، مثل الدعوة إلى مؤتمر دولي لطرح قضية الشرق الأوسط.